باكون وشكسبير

هوميروس

من اغرب الغرائب ومساوىء الصدف ان يكون اجود ما نظمهُ البشر من الشعر اليوناني والانكليزي وما نظم من الشعر الحماسي في العربية معرض الشك والريبة من حيث ناظمهُ . فقصائد الالياد والاودسي اليونانية المنسوبة الى هوميروس اجود ما نظم من الشعر على الاطلاق في عرف الناقدين الخبيرين ولكن هوميروس نفسهُ مجهول الاصل والفصل . فمنهم من يعدهُ في عصاف ابطال اليونان القدماء الذين ورد ذكرهم في خرافاتهم كهرقل وامثالهِ من الذين لم يكن لهم وجود الاَّ في مخيلات مختلقيهم . ومنهم من يقول انهُ وجد حقيقة وكان ضريرًا يطوف مدائن اسيا الصغرى متسوّلاً على الابواب وهو يغني القصائد مما نظم اقلهُ وسمع اكثرهُ يتداول على الالسنة في ايامهِ عن وقائع حرب تروادة كما يفعل كثيرون من عميان المتسولين في الشرق هذه الايام . ومنهم من يقول انهُ هو نفسهُ ناظم قصيدة الالياد ان لم يكن ناظم الاودسي . وانما قالوا هذا القول لان الثانية دون الاولى معنًى ومبنًى فقالوا انها نظم شعراء متعددين ربما كان هوميروس واحدًا منهم . الى غير هذا من الاقوال المتضاربة التي لا تنقع غلّة الباحث عن الحقيقة

عنترة العبسي

وما قيل في هوميروس يقال في عنترة العبسي " افرس الفرسان واشعر الشعراء " كما قال بعضهم فيهِ . فمن قائل انهُ هيئ بن بيّ وان ما نُسب اليهِ من الشعر انما هو من نظم غيرهِ وان قصتهُ مبالغ فيها كثيرًا وهي من وضع الاصمعي . وبعضهم يذهب الى اكثر من ذلك فيقول ان عنترة لم يكن موجودًا وانهُ ان كان هناك عنترة حقيقة فقد كان رجلاً فاق رجال عشيرتهِ في الشجاعة والفروسية فنسب ما نسب اليهِ . والذي يعرض الشعر المنسوب الى عنترة للنقد الصحيح ويقابلهُ بالشعر الجاهلي يرى فرقًا عظيمًا بينهما بل قلما يرى شيئًا من الملابسة مما يثبت ان معظم الشعر المنسوب اليهِ حديث لا جاهلي قديم . ثم ان ذكر الناظم اسماء اماكن لم تذكر في الشعر الجاهلي وعدم ذكرهِ اسماء ذكرت كثيرًا فيهِ واقتصارهُ على ذكر القليل من العيس والبعران وما يتعلّق بها وغير ذلك مما كان شعراء الجاهلية يفعمون شعرهم بهِ . كلُّ ذلك يدلُّ على ان الشعر المنسوب الى عنترة حديث ويؤيد قول القائلين انهُ من نظم غيرهِ

وزد على ذلك ان معلقتهُ المشهورة التي يقال ان عرب الجاهلية عدوها من المعلقات السبع

وعلقوها في الكعبة يعبدونها في الاصباح والامساء كما كان اليونان القدماء يعلقون قصائد هوميروس في الهابهم السنوية — انما هي من نظم غيره بلا مشاحة

شكسبير

وهنا يسوقنا البحث الى شكسبير شاعر الانكليز الشهير . فقد اختلف العلماء في حقيقة ناظم الشعر المنسوب اليه وتعاظم الخلاف منذ عهد بعيد فانقسموا الى فئتين فئة كبيرة تقول ان شكسبير هو الناظم حقيقة وتسند قولها الى ادلة كثيرة . وفئة أخرى صغيرة تقول ان الشعر المذكور نظم اللورد باكون وان شكسبير لم يكن سوى ممثل بسيط وقد بنت قولها هذا على ادلة منها ما يرى من الشبه بين كتابات باكون والشعر المنسوب الى شكسبير في التصور ونسق التفكير والتعبير . ولا تزال الفئتان مفترقتين وكلٌّ حين تقوم قيامتهما فتفتحان باب هذه المسألة ثم تغلقانه ولا تقرران امرًا

وفي ديسمبر الماضي نشرت مجلة القرن التاسع عشر مقالة من قلم احد الكتاب الانكليز اشار فيها الى هذه القضية كما سيأتي فثار الكتاب من كل حدب وصوب يكتب كلٌّ ما بدا له . وكنت قد ولعت بدرس هذه المسألة منذ سنة ١٨٩٣ حين كنت ادرس آداب اللغة الانكليزية في المدرسة الكلية ببيروت . واول ما ثارت الشبهات والشكوك في خاطري عند ما شرعت انا ورفقائي في درس رواية هملت الشهيرة درسًا انتقاديًّا بيانيًّا ولم أكن بعد عارفًا بمجادلات العلماء ومناقشاتهم في هذه المسألة . وزاد ريبي عند درسنا مقالة مكولي الكاتب الانكليزي المشهور عن باكون وفيها يذكر المكنة اليصابات وباكون وشكسبير ومن عاصرهم من المشاهير فتنبهت الى هذا الامر وبسطت معتقدي فيه وكنت اؤيده بما تيسر من الادلة والاستاذ يحرضنا على حرية البحث وانشاء المقالات في هذا الموضوع لان الحقيقة بنت البحث ويصوّب او يخطئ على حسب ما كان يعتقد . ثم تركنا المدرسة في نهاية تلك السنة وكرت الايام فنسينا هذه المسألة ولكنها كانت تخطر على بالي من حين الى آخر فاقول لا بدَّ ان تنجلي الحقيقة في الاقرب الماجل وان كانت لم تنجلِ في ثلاث مئة سنة خلت

ومن مضي أكثر من شهر نبهني احد العلماء السوريين الى المقالة التي وردت في مجلة القرن التاسع عشر بهذا الصدد كما تقدم . فقرأت بعض ما فيها وملخصهُ يحث في امكان نسبة الشعر المذكور الى باكون . فانشأت رسالة بالانكليزية وارسلتها الى جريدة "ايجبشن غازت" الانكليزية اليومية التي تطبع في الاسكندرية فنشرتها في عددها الصادر في ٢٧ ديسمبر الماضي تحت عنوان "قضية باكون وشكسبير . راي مصري" وهذه ترجمة بعضها

لا يخفى على كل من لهُ المام بعلم الادب والشعر امر المناظرة الشديدة التي قامت بين العلماء فيما اذا كان شكسبير هو نفسهُ مؤلف الشعر الذي يعزى اليهِ او المورد باكون ولكن على غير طائل وقد طالما جال في خاطري لاسباب جمة ان شكسبير الأمي (اذ لم يكد يحسن كتابة اسمهِ) لا يمكن ان يكون ناظم ذلك الشعر البديع بل الاصوب ان يكون باكون ناظمهُ وهو الكاتب العظيم والسياسي الكبير والفيلسوف الخطير الذي نقض نظام الفلسفة القديمة برمتهِ تلك الفلسفة المبنية على مجرد تصديق ما قالهُ ارسطوطاليس وغيرهُ من الفلاسفة القدماء وشاد نظام الفلسفة الحديثة على اساس مكين وهو المشاهدة بالعيان والامتحان

- وقد نشرت مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة في عددها الصادر في غرة دسمبر الماضي من قلم المستر ملوك احد مشاهير الكتّاب عنوانها "بيان جديد للكتابة المختزلة المعروفة بالصفر عن باكون وشكسبير" ويبحث الكاتب في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً فاوجه اليهِ انظار الذين تهمهم هذه المسألة

وليس العجب ان يكون باكون ناظم الشعر المذكور على الارجح بل الذي يحمل على العجب ان يكون ذلك الشعر منطوياً على معانٍ مستترة غير ما يؤدي اليهِ ظاهرهُ كما ورد في تلك المقالة فكأنهُ شعر متنكر ظاهرهُ غير باطنهِ . وان يكون في طيهِ اسرار مخصّة بباكون والملكة اليصابات كان باكون يحبُّ اطلاع الناس عليها ولما لم يسعهُ ذلك جهراً خوفاً عمد اليهِ سراً بالطريقة المعروفة بالصفر وهي ان يكتب كلاماً و يطبعهُ بنوعين من الحروف يستدلُّ منها على معانٍ أخرى

وربَّ معترض يقول انهُ ان كان باكون ناظم الشعر المذكور فلمَ لم يقل ذلك صريحاً . والجواب ان فن التمثيل كان فناً حقيراً في تلك الايام . ولو ادعى باكون ان لهُ اقلَّ علاقةٍ بهِ مهما كانت كمية تلك العلاقة وكيفيتها لعرَّض نفسهُ لاحتقار الاشراف والعامة لا سيما وانهُ كان حافظ الختم الملكي وثاني الملكة في المملكة والمرجح انهُ كان يدفع ما ينظمهُ الى شكسبير سراً فيمثلهُ فعزى اليهِ وما زال معظم الناس يعتقد هذا الاعتقاد منذ ثلاث مئة سنة الى يومنا هذا

ولا يعجب عاقل اذا ثبت عاجلاً او آجلاً ان باكون وحدهُ نظم الشعر المذكور وهو الكاتب والسياسي والفيلسوف وان شكسبير كان اعظم ممثل في زمانهِ "

ثم بعثت اليها برسالة اخرى في ٣ يناير وهاك بعض ما ورد فيها

" لي كلمة اخرى اقولها على قضية باكون وشكسبير . وهي ايراد الادلة الآتية وترك القراء

يستنتجون كلاً على حسب قابليته للاقتناع

(١) كان باكون وشكسبير معاصرين

(٢) كان باكون كاتباً كبيراً وفيلسوفاً وشكسبير يكاد يكون اميًّا

(٣) بين كتابات باكون والشعر المنسوب الى شكسبير وجوه كثيرة للشبه في نسق الكتابة والتصورات وطريقة الفكر والتعبير باعتراف اعظم انصار شكسبير ومؤيديه

(٤) كلُّ من يعرض الشعر المنسوب الى شكسبير للنقد الدقيق الخالي من الهوى يراهُ مفعماً بالحكم والتجارب عن الطبيعة البشرية مما لا يمكن ان يصدر إلاَّ عن فيلسوف ذي قريحة وقادة وفؤاد يتلهب ذكاءً فضلاً عن قروي ربما امتاز باشارة لطيفة ونطق فصيح ووقفة حسنة على مسرح التمثيل وغير تلك من الصفات التي تختصُّ بالممثلين لا بالفلاسفة

(٥) ان فنّ التمثيل كان فنًّا حقيراً في تلك الايام كما قلت في رسالة سابقة وهذا ما منع باكون من القول صراحة انهُ ناظم الشعر المذكور

فهذه الادلة المتقدمة قد لا تقوم مقام برهان باتٍّ صريح وان كان حسبان امثالها برهاناً قاطعاً يعمل به غير نادر الوقوع . مثال ذلك انهُ لما رأت محاكم مصر منذ ثلاث سنوات ان القانون لا يجيز لها الحكم بالاعدام على متهم بالقتل ما لم تقم بينة صريحة على ذلك كشهادة اثنين انهما رأياهُ مرأى العين يرتكب القتل عمدت الى تحوير المادة الثانية والثلاثين المشهورة من قانون العقوبات ومآل ذلك التعديل انهُ يجوز الحكم بالاعدام على متهم بالقتل بدلالة القرائن والبينات غير الصريحة اذا لم يكن هناك بينات صريحة . فما صحَّ هنا يصحُّ في المسألة التي نحن بصددها "

هذا ملخص ما ورد في هذه الرسالة . وقد ردَّ بعض المكاتبين الانكليز على ما ورد في الرسالة الاولى بين مصوّب ومخطئ مما لا فائدة من ايرادهِ

والذي فتح باب هذه القضية هذه المرة سيدة اميركية اسمها مسز جالوب وهي التي بنى المستر ملوك مقالتهُ على اكتشافها واظهر ميلاً الى تصديقها فقامت عليهِ قيامة انصار شكسبير ونشر اثنان منهما مقالتين في مجلة القرن التاسع عشر الصادرة في هذا الشهر ينتقدان مقالتهُ ويبينان فساد ما ادعتهُ مسز جالوب

على ان كل من يباحث الانكليز في هذا الامر يرى ان معظمهم متعصب تعصباً اعمى لشكسبير حتى ان انصار باكون لا يبلغون جزءًا من الف من انصاره . وقد بلغ منهم التعصُّب مبلغهُ حتى قال احد كتابهم في جريدة " الايجبشن غازت " انهُ وان ثبت ان باكون هو

ناظم الشعر المنسوب الى شكسبير لكن هناك صعوبة عظيمة في اقناع الجمهور بالعدول عن اعتقادهم التقليدي ان شكسبير هو الناظم لا باكون . ولو بُعث شكسبير من رمسهِ واعترف بذلك على رؤوس الاشهاد لم يصدّقهُ الناس

فرددت عليهِ بقولي " ان الباحث عن الحقيقة ينتش عن ضالتهِ المنشودة حتى يجدها فاذا وجدها واعلن ذلك للملإ انتهت مهمتهُ ومسأوليتهُ هنا ولا يطالَب باكراه الناس على تصديق رأيهِ اكثر مما يطالب الواعظ باكراه سامعيهِ على قبول نصائحهِ وارشاداتهِ . فقد طالما كان التقليد مضلّاً للناس وصحتهُ معرضاً للشك والارتياب ومحطًّا للاختلاف . فان كان الجمهور لا يحب ترك التقليد القديم ولا يصدّق ان شكسبير ليس ناظم الشعر المنسوب اليهِ ولو نشر من قبرهِ واعترف بذلك صريحاً فهذه مسألة اخرى لادخل لها في قضية بحثنا "

هذا وان كلّ محبٍّ للحقيقة يتمنى لو يحلُّ الخلاف الذي بين الفريقين وتجلي الحقيقة بالبرهان الساطع حتى يستريح عالم الآداب من قضية مضت عليها الاعوام وهي لا تزال اعقد من ذنب الضب واطول من ليل الصبّ . ولعمري اذا ثبت بعد هذا العناء الطويل والنصب الكثير ان باكون هو ناظم الشعر المنسوب الى شكسبير كان ذلك دليلاً على امرين الاول ان باكون نابغة بني البشر اجمعهم لانهُ فاق الاقران وحاز قصب السبق في فرعين مختلفين كلّ الاختلاف لا علاقة للواحد منهما بالآخر وهما الفلسفة والتمثيل وهو ما لم يسبق لهُ نظير في تاريخ البشر . والثاني ان كثيرًا من الحقائق لا يزال محجباً بحجب الغيب والريب وان جيوش الوهم لا تزال سائدة مسلطة على كثير من امور البشر مهما تقدموا وتمدنوا فلا يزيل لها صولة ولا يذيل لها دولة غير كثرة البحث وطول الايام

نجيب شاهين

عروسة النيل

(تابع ما قبلهُ)

الفصل الثالث

عادت سفينة المقوقس تشق عباب النيل وعاود ركبها الحديث والغناء واسندت ماري رأسها الى كتف باولين ونامت وطفقت المهذبة تارةً تتأمل الافلاك والنجم ذا الذنب وقد امتلأ قلبها رعباً وتارة تحدق في وجه اوربون وقد سحرها جمالهُ وملك سويداء قلبها وكانما هي تحسد باولين على ما خصها بهِ الله من الحسن والجمال . وكان الليل هادئاً واديم الجو صافياً والنسيم بليلاً